Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى هذا النحو ما نزال نرى فى شعر ابن المعتز صوراً متحركة قد أعطاها أوضاعاً تؤكد حقيقتها وتجعلنا كأننا نلمسها ونشاهدها ، وهل هناك صورة تثبت فى الذهن كهذه الصورة التى أخرج فيها الصبح بعد المشترى :

والصّبحُ يتلو المُشْتَرِى فكأنّهُ عُريانُ يمشى فى الدُّجى بسِراجِ (٤٥)

إنها صورة عارية ، وقد يؤذينا هذا العُرى ، ولكنا لا نرتاب فى أنه يثبت الصورة فى عقولنا ، ومن ينسى هذا الصبح الذى ذكره ابن المعتز ؟ من ينسى هذا العريان وسراجه الذى كان يحمله فى الدجى فيكشف عن نيته ويُفصح عن عزيمته ؟ ولننظر إليه يعود إلى تصوير الصبح فيقول :

كأنّا وضَوءُ الصّبحِ يَستعجلُ الدُّجى نُطيرُ غُراباً ذا قَوادِمَ جُونِ (٤٦)

فقد جسَّمَ اختلاط الظلام بالضياء فى ذلك الغراب صاحب القوادم البيضاء ، وليس من شك فى أنها صورة طريفة ، وكأنى به أراد أن يحكمها إحكاماً ، فقال :

فكابَدْنا السُّرى حتى رأينا غُرابَ الليلِ مقصُوصَ الجناح (٤٧)

فإننا نراه يجنح فى هذا البيت إلى التفصيل فى صورة الغراب بأكثر مما صنع فى البيت السابق ؛ إذ عبر عن القِصَر الذى يصيب أطراف الليل بهذا القصّ الغريب لجناح الغراب ، وكل ذلك ليضبط الصورة ضبطاً دقيقاً .

ومهما يكن فإن ابن المعتز كان يحسن استخدام صيغ التشبيه إحساناً شديداً ، فإذا هو يستخرج منه تلك الصور والاوضاع الكثيرة التى تروعنا روعة هذه المياه التى رآها فى ربع صاحبته ، فحكى صورتها فى قوله :

ويومٍ دارِسِ الآثارِ خالٍ كدَمعٍ حارَ فى جَفْنٍ كحِيلِ (٤٨)

وحقاً إن الإنسان ليذهل إزاء هذه الروعة فى التصوير ، حتى ليتمنى أن لو صار إليه شىء من إحساس ابن المعتز حين تمثّل هذه الصور ، ولننظر إليه وهو يصف الرياض فى منظومته « ذم الصّبوح » ، إذ يقول :

---

(٤٥) ديوان ابن المعتز ١٣٣ .
(٤٦) المصدر نفسه ٤٤٠
(٤٧) المصدر نفسه ١٣٨ .
(٤٨) المصدر نفسه ٣٦٥ .